في وسط تل أبيب والقدس الغربية بدأت تجد أكياس الرمل قد رصت أمام الأبواب والمحلات التجارية على ارتفاع يزيد عن المتر ونصف، مثل المواقع العسكرية والثكنات.

آلاف الجنود في كل مكان، والجنود ورجال الشرطة أكثر بعشرات الأضعاف من المدنيين وكل يوم أو عدة أيام توضع الحواجز والمتاريس، حيث يبدأون بفحص السيارات ومن تحمل، فقد وصلهم خبر عن تحذيرات من عمليات في الطريق، فتصطف السيارات في طوابير لا نهاية لها، وتتعطل الحياة على أبواب المحلات، ومئات المحلات تجد يافطة معلقة تعلن أنه معروض للبيع أو أنه مغلق حتى إشعار آخر، فقد انهارت الحياة الاقتصادية.

كذلك وطائرات الأباتشي تغتال شخصاً جديداً ثم تغتال شخصاً جديداً، وتخرج الجماهير عشرات الآلاف تجري نحو الهدف الذي تم قصفه، لتحاول إنقاذ المصابين إن بقي فيهم حياة، وهي تصرخ هاتفة مطالبة بالرد وبتأديب الاحتلال الغاشم.

إبراهيم وحسن وعدنان يجلسون وأمامهم مخططات لصواريخ مداها أطول في قذائف الهاون يسأل إبراهيم عدنان هل بإمكانه من الناحية الفنية في ورشته تنفيذ المخططات يدققها مرة ثانية وثالثة ثم يهز رأسه بالموافقة، فيقفزون إلى العمل ثم يحملون ما أعدوا في السيارة، وينطلقون إلى بلدة بيت حانون، حيث ينصبون الصواريخ ويشعلون الفتيل أسفله ويبتعدون قليلاً وهم يدعون الله التوفيق، وبعد ثوانٍ فينطلق مزمجراً ويجتاز الحدود، يتعانق المجاهدون الثلاثة ويعودون مسرعين لتحضير وصناعة المزيد ولتعليم الآخرين في المناطق الأخرى.

وتبدأ صواريخ القسام وغيرها بالانطلاق بالعشرات رداً على هذه الجريمة أو تلك، تعلو بعض الأصوات مرتعدة من ردة فعل الاحتلال الذي بدأ يهدد ويتوعد، يبتسم إبراهيم قائلاً: وماذا يمكنهم أن يفعلوا أكثر مما فعلوا، الآن الاغتيالات والاجتياحات والقصف والقتل والدمار، عليهم الآن أن يبنوا من جديد، ليجدوا ما يهدمونه، مرة أخرى يقول عدنان: ألا ترى أنهم يراهنون على أن الناس تعبوا وأن الشعب يريد أن يرتاح، فقد أرهقه الثمن الباهظ الذي دفعه، يبتسم إبراهيم وهو يقول: من الذي تعب؟ ومن الذي أرهق؟ أنت أم أنا، أمهاتنا ونساؤنا الذين يدفعون الثمن من أرواح أبنائهم ومن بيوتهم ومن أغلى ما يملكون، لم ينطق أحدهم بكلمة تدل على التعب ألم تر في كل مرة أن أم الشهيد تهتف أنها مستعدة للتضحية بإخوته الآخرين في سبيل القدس والأقصى.